حضارة وادي النيل

حضارة مصر الفرعونية

البيئة الطبيعية و أثرها في البناء الحضاري لمصر القديمة

تقع مصر في الجزء الشمالي من القارة الأفريقية ، يلفها النيل العظيم من الجنوب الى الشمال فهي عباره عن سهل منبسط يمتد على جانبي النيل ، تحف به من الشرق ومن الغرب هضبتان تليها صحراء شاسعة تشغل معظم مساحة مصر فالنيل هو سر الحياة في مصر فهو سر الخصوبة وعصب الحياة ورمز الحضارة فمصر (هبة النيل) وبدونة مصر صحراء قاحلة ما من شيء يجعل الحياة ممكنة فيها سوى مياهه

فبالإضافة الى مايوفرة النيل من خصوبة جعلت الكثافة السكانية في شريط النيل تصل الى حد الاشباع الامر الذي وفر للمصريين اسباب الحضارة ، فالنيل يفيض سنويا بانتظام، فيحيي الارض بعد موتها وتعود الحياة تنبض في جنبات الوادي هذه الدورة السنويه للفيضان النيلي التي أقرت في روع المصريين القدماء أن الحياة في تجدد دائم ،وان الموت ليست نهاية الحياة ، وبالتالي قادتهم لفكرة (الخلود) . التي أصبحت محور فعاليات ونشاطات الانسان المصري القديم .فما من شيء شغل تفكير وحياة المصريين القدماء مثلما فكرة (الخلود بعد الموت).

لذلك حرصوا على بناء مقابرهم اكثر من حرصهم على بناء قصورهم ومنازلهم الدنيوية ، حتى اطلق الاثاريون على حضارة مصر القديمة اسم (حضارة الموتى) أو (حضارة المقابر)

ومصر تعاني غلواً من الشمس ، والمصري القديم وهو يرصد يوميا شروق الشمس من خلال جبال مصر الشرقيه ،وغروبها عند الجبال الغربية، هذه الدورة أليوميه للشمس قادت المصريين الى الاعتقاد :-

١- بأن الشمس هي الإله الخالق واسماه (رع)

٢- وأن الشمس حين تغرب لا تموت بل تستعد لحياة أخرى في الصباح التالي الامر عزز أيمانهم بفكرة الخلود.

٣- بأن مدنيتهم اسمى المدنيان وان بلدهم مركز الكون ، ولا يوجد بشر سواهم في هذا الكون

٤- الغرب حين تختفي الشمس هو المدخل للحياة الاخرى ، لذلك اتخذوا من الغرب مكانا لبناء مقابرهم.

ومصر محضه طبيعيا بالبحار والصحاري الشاسعة والجبال الوعرة وهذا ما جعلها : -

١- في عزله جغرافية فرضت على سكانها حتمية التعاون والتالف والابتكار

٢- عصية على الغزاة والطامعين من الاقوام الأخرى مما اشاع جوا من الامن والاستقرار والاطمئنان ليواصلوا بنائهم الحضاري بثقة.

وفرت البيئه الطبيعة المصرية أنواعا مختلفة من الاحجار كالحجر الجيري ، والمرمر، و الكرانيت

والديوايت والبازلت وغيرها من الاحجار ، ما سهل عليهم البناء الحضاري الذي ينسجم وإيمانهم بالخلود ، فالحضارة المصرية حجربة بالدرجة الاولى، لذلك ظلت خالدة على مر العصور

الديانة المصرية القديمة :-

يمكن اختصار ديانة مصر القديمة في نقطتين اساسيتين هما:-

١- ألوهية الملك : اذ اعتقد المصريون القدماء ان مصر حكمتها الالهه منذ اقدم العصور وما الملوك الفراعنة الا ابناء الالهه ومن نسلهم،فهم الهة ابناء الهه.

٢- اعتقادهم بالحياة الاخرى بعد الموت (الخلود)،هذه الفكرة التي استحوذت على تفكير الانسان المصري القديم وصارت محور نشاطاته وفعالياته طول عصور الحضارة الفرعونية.

الناحية التاريخية:- نشأت حضارة مصر القديمة منذ عصور موغله بالقدم،وقد حدد الاثاريون معالم واثار واضحة لتلك الحضارة منذ العصر الحجري الحديث وبالتحديد منذُ ٥٠٠٠ سنة ق.م . ويمكن ايجاز مراحل تطور الحضارة المصرية القديمة بما يأتي :-

١- عصر ما قبل التأسيس والذي يمتد بين ٥٠٠٠-٣٢٠٠ سنة ق.م.

اذ حدد الأثاريون حضارات (مرمده ، البداري ، نقاده الاولى ، نقاده الثانية) قبل تأسيس الدوله المصرية الموحدة.

٢-عصر التأسيس (عصر بداية الاسرات) وهو العصر الذي توحدت فيه مصر كدوله واحده على يد اول ملك فرعون يدعى (مينا)او(نعرمر). ويؤسس او اسره حاكمة لمصر الموحدة. حيث ان مصر الفرعونية حكمتها (٣١) واحد وثلاثون اسرة حاكمة ابتدأت في الاسرة الاولى التي اسسها هذا الملك(نعرمر) وانتهت الدولة الفرعونية بالأسرة (٣١) بعد احتلال الاسكندر لمصر سنة٣٣٢ ق.م يشمل عصر التأسيس هذا فتره حكم الاسره الاولى والاسره الثانيه فقط.

٣- عصر الدوله القديمة ٣٢٠٠-٢٧٨٠ سنة ق.م

شغلت الدولة القديمة فترة طويلة تزيد على خمسمائة عام ، ازدهرت فيها الحضارة المصرية وارتقت فيها الفنون . وحكمتها الاسر الثالثة - والرابعة - والخامسة وانتهت مع الاسرة السادسة ، حكمها ملوك اقوياء(سنفرو ، خفرع ، خوفو ، منكارع) ويسمى هذا العصر بعصر (بناة الاهرام)

ومنذ الاسرة السادسة ضعفت الدول القديمة وتناثرت اقاليمها، وتراجع العطاء الحضاري في عهد الاسر - السابعة - والثامنة - والتاسعة - والعاشرة - حتى جاء عصر الدولى الوسطى .

٤- عصر الدوله الوسطى :- ٢١٣٤ – ١٧٧٨ ق.م

اذ استطاع الملك (منتوحب الاكبر) ان يوحد البلاد من جديد ويحكم سيطرتة عليها ويؤسس الاسرة الحادية عشر ، وبعدها الاسرة الثانية عشر لتمثل هاتين الاسرتين عصر ازدهار جديد للدولة المصرية الموحدة على يد ملوك اقوياء امثال (منتوحتب الثاني ، سنوسرت) وهو عصر الدولة الوسطى. ينتهي هذا العصر بنهاية الاسرة الثانية عشر ، وتعود البلاد الى الضعف وتمرد الاقاليم على المركز ابان حكم الاسر (الثالثة عشر – والرابعة عشر ، والخامسة عشر ، والسادسة عشر ، والسابعة عشر) حتى يبدأ عصر الدولة الحديثة. اذ احتل الهكسوس مصر في عهد هذه الاسر الضعيفة .

٥- صر الدول الحديثة :- ١٧٥٠ – ١٠٨٠ ق.م

استمر حكم (الهكسوس) زهاء ١٥٠ عاما ، والهكسوس قبائل مغتصبة سيطرت تدريجيا على معظم المن المصرية منذ عهد الاسرة (١٣) وحتى الاسره (١٧) . بعدها استطاع احد ملوك (طيبه) الملك (احمس) ان يطرد الهكسوس وينتزع عاصمتهم ويؤسس الاسرة الثامنة عشر ليبدأ عصر الدولة الحديثة . الذي يعد من ازهى عصور الحضارة الفرعونية واكثرها تالقا . اذ بلغت الدوله ذروتها في كافة المجالات (السياسية والاقتصادية والاجتماعية) في عهد الاسر (٢١,٢٠,١٩,١٨)

٦- العصر المتأخر ١٠٨٠- ٣٣٢ ق.م

ويبدأ هذا العصر منذ حكم الاسرة (٢١) حيث الضعف وانفراط المدن المصرية وتراجع سلطة المركز في عهد الاسر من ٢٢ – ٣١ لينتهي هذا العصر باحتلال الاسكندر المقدوني لمصر عام ٣٣٢ ق.م

المنجزات الحضارية المميزة للحضارة الفرعونية

١- اللغة الهيروغليفية : منذ زمن مبكر تعاقد المصريون القدماء على لغة تصويرية يطلق عليها اليوم بـ(اللغة الهيروغليفيه). التي اعتمدت اشارة صور الاشياء للحروف والمفردات، ولم تتحول هذه اللغة التصويرية الى رسم الحروف وتجريدها طيله فترة الحضارة مثل ما فعل السومريون. وتركت لنا مصر القديمه تراثا لغويا شرا وثق مجمل فعاليات الانسان المصري القديم في مختلف نواحي الحياة .وابتكر المصريون القدماء طريقة لتحضير ورق نبات البردي للكتابه. اذ اصبحت(البرديات) كما يطلق عليها الاثاريون مصادر مهمة للتعرف على حياة المصريين القدماء ونشاطاتهم.

٢- نظام الحكم : نظام الحكم الفرعوني نظاما مركزيا صارما يقع عند قمته الملك الذي استمد سلطته من كونه سليل الالهه التي حكمت مصر منذ عصور فهو يملك السلطة العليا الدينيه والدنيوية ، وتتبع سلطتة كل الاقاليم المصرية ، وتحيط به طبقة من كبار المسؤلين وتسندها طبقة كهنوتيه مرهوبه الجانب

٣- الجانب الفكري :- تمخض الفكر المصري القديم ومنذ زمن مبكر عن انتاج افكارا وعقائد وطقوس متفرده تميزت بها الحضارة الفرعونية وهي :-

أ- فكرة البعث والخلود

تمخض العقل المصري ومنذ زمن مبكر عن تصور لحياة اخرى يحياها الانسان بعد الموت ولم ينته به المطاف عند هذا الحد ، بل راحت فكرة الخلود تستقطب جل تفكيره وتستنفر طاقاته وامكانياته الى اقصاها فتهيمن على جميع فعالياته وانشطته . فما من شيء طور الخيال والاسلوب والفن في مصر بقدر ما طورته شهوة الحياة بعد الموت . وقد حظيت هذه العقيده بتطورات كثيرة ومتلاحقة في تفاصيلها عبر عصور الحضارة الفرعونية ، من ناحية تحويل مفهوم الموت الى مناسبه لبداية الحياة الجديدة ، وموقع العالم السفلي حيث الحياة الاخرى . واستعداد الانسان للموت ، وما يحتاجة المتوفي في العالم الاخر من مقتنيات دنيويه وما سيواجهه في العالم الاخر من حساب على يد محكمة يديرها عددا من الالهه . وكيفية وزن اعماله في هذه المحكمة ، ثم مواصفات الحياة الاخرى السعيده التي سيحياها .

فلا عجب في ان يطلق علماء المصريات على هذه الحضارة اسم (حضارة الموتى) لارتباط هذه الحضارة بمخلفات المصريين الجنائزيه من قبور وتوابيت ومومياوات .

ب- نظريات نشوء الخليقه

قدم علماء اللاهوت تصوراتهم الرامية الى تفسير نشوء العالم كان اعظمها نظرية الاشمونين(وتعني الثامون المقدس) التي ترجع بداية الخلق الى المياة الازلية(نون) نظرية (اون) المقدسه. والتي تعتمد اله الشمس (رع) الذي نطق بأسماء الالهه نظرية (منف) . التي ترى ان بدأ الخليقة نطق به الاله(بتاح). وفي هذه النظريات تفاصيل كثير لا نريد الخوض بها. فذكرها فقط يعرفنا على مدى ما وصل اليه العقل المصري القديم من تفسير للوجود.

جـ- تحليل قوى النفس البشرية

لقدماء المصريين السبق في تحليل قوى نفس الانسان حيث قسموها الى (الكا ، والبا والاخ) ووصفوا كل قوه من هذه القوى وحددوا صفاتها وواجباتها ودورها في تحديد سلوك الانسان .

د- الاناشيد والادعية والتعاويذ والاساطير

ظمت متون الاهرام والمقابر والبرديات الكثيره التي خلفتها حضارة مصر القديمة اناشيدا تتغنى بعظمة الالهه، كما الف المصريون ادعية وتعاويذ في مقدمتها(كتاب الموتى) تقيهم اهوال العالم الاخر وكيفية الوصول الى الحياة السعيدة .

يبرؤن من خلالها انفسهم من الخطايا ويستنجدون فيها بالإلهة فلا تكاد مقبره من مقابرهم تخلو من هذه الادعيه والتعاويذ . كما تركت لنا مصر العديد من الاساطير كنتاج ادبي متميز شملت

موضوعاتها مختلف جوانب الحياة كاساطير الخلق وكتاب البوابات ، اسطورة اوزوريس ، اسطورة دمار البشر وغيرها .

هـ- ديانة التوحيد

في عصر الدوله الحديثة وابان حكم الملك الفرعون (امنحوتب الرابع) قامت ثورة دينية بقيادة هذا الملك الذي استطاع ان يكسر شوكة (كهنة امون) الذين قوى سلطانهم وان يطيح بجميع الالهه ويوحد ديانه المصريين في ظل عبادة اله واحد هو الاله (اتون) ورمزه قرص الشمس واشعتة ذات الاذرع. فكان لهذه الثوره الفكريه بالغ الامر في حياة المصريين القدماء حيث القت بضلالها على مجمل نشاطات الانسان المصري وفعالياته ونتاجاته الفكريه والمادية . لكن هذه الثوره لم تدوم اكثر من ١٧ سنه ، انتهت بوفاه قائدها الذي سمى نفسه (اخناتون) تيمنا بالاله الواحد (اتون) وبعد وفاتة مباشرة عادت مصر الى التعددية الالهية مرة اخرى والغى الكهنة الذين يظمرون له العداء كل اثار هذا الملك الموحد

٤- الفنون الفرعونية :-

أ- فن العمارة

كانت مصر القديمة عامرة بالمدن التي تميزت ببراعة تخطيطها و تصميمها وبناءها ومن هذه المدن (منف ، طيبة ، ابيدروس.... وغيرها من المدن ، فكانت (منف) عاصمة الشمال و (طيبة) عاصمة الجنوب وقد تناوبتا الصدارة والسلطة في مراحل عديدة من تاريخ مصر الفرعونية.

ان ما وفرته طبيعة مصر من احجار مختلفة اعان المصريين على اعتماد الحجر كمادة اساسية في البناء الامر الذي جعل بنيانهم عصيا على عوامل التعرية وتقادم الزمن ، فكانت عمائرهم خالدة تتماشى وافكارهم المهوسة بالخلود بعد الموت .

ولعل اول ما يلفت نظرنا في عمارة مصر القديمة بناء الاهرامات العظيمة التي كانت وستبقى رمز لحضارة عظيمة احتظنها وادي النيل.

١- الهرم :- يجب ان نفهم بان بناء الهرم يمثل المرحلة النهائية من مراحل تطور بناء المقبرة ، والمقبرة في فكر المصريين القدماء هي الدار الابدية : التي ينتقل اليها المتوفي ليواصل حياتة الاخرى ، فما من شعب اهتم ببناء وتجهيز المقابر مثل اهتمام المصريين بها حتى اطلقو عليها اسم (الدار الابدية) وقد مرت المقبرة بمراحل بناء عديدة فمن الحفرة البيضوية او المستديرة او المستطيلة التي يبلغ عمقها المترين في عصر ما قبل الاسرات الى الحجرة المستطيلة المبنية من اللبن والمسقفة بجذوع الاشجار تحت الارض وتحيط بها عدة غرف صغيرة للاثاث الجنائزية في بداية عصر الاسرات الى المصطبة في عصر الاسرات (عصر التأسيس) الى الهرم المدرج (هرم زوسر) واخيرا الى الهرم الكامل (اهرام الجيزة الثلاثة) في عصر الدولة القديمة

المصطبة :-

بناء صغير قاعدتة مستطيلة وواجهاته الاربعة مائلة الى الداخل وبذلك يكون سطحة العلوي اقل مساحة من قاعدتة اي ان بناءه يكون على شكل هرم ناقص قاعدتة مستطيلة ، وللمسطبه باب في الواجهة الكبيرة . ويصل الى غرفه ذات اعمدة بأرضيتها بئر عميقة توصل الى غرفة صغيرة يوضع فيها تابوت المومياء وبعد دفن الميت تغلق البئر ويغلق الباب ومن اشهر المصاطب مصطبة النبيل (تي) في سقارة

هرم سقارة المدرج (هرم الملك زوسر):- بنى الوزير والمهندس (ايموحتب) للملك زوسر مؤسس الاسرة الثالثة هذا الهرم الذي يتالف من ستة مصاطب بعضها فوق بعض ، كل مصطبة تقل بالحجم عما تحتها حتى اصبح الشكل النهائي للهرم يتكون من ستة طبقات مكسوة من الخارج بالحجر الجيري ، وبذلك اصبح (ايموحتب) اول مهندس يدخل التاريخ لاكتشافة البناء بالحجر لاول مرة ، ولمحاولتة بلوغ الشكل الهرمي في بناء المقبرة

اهرام الجيزة الثلاثة (هرم خوفو، هرم خفرع،هرم منقاورع):-

بلغ بناء الهرم شكله الحقيقي الكامل في هرم الملك سنفرو، ولكن تعد اهرامات الجيزة الثلاثة من اعظم الاهرامات المصرية لانها غاية في الاتقان الهندسي والفني والعقائدي، واكبر هذه الاهرام هرم الملك(خوفو)

(هرم خوفو)

شغل هذا الهرم مساحة (١٣ فداناً) واستخدم في بناءه حوالي ٢٣٠٠٠٠٠ قطعة حجرية مختلفة الحجم جلبت من محاجر (طره) ، معدل زنه الحجر الواحد ٢,٥ طن علما ان من الاحجار المستخدمه ما يزن ١٠ اطنان .

يبلغ ارتفاع الهرم ١٤٦م ، وطول ضلع قاعدتة المربعة ٢٣٠م ، وقد وصل المصريون في بناء هذا الهرم حد الاعجاز في ضبط الزوايا والابعاد . وتستقر غرفة الدفن في قلب الهرم.

٢- المعابد المصرية القديمة :- اهتم المصريون القدماء ببناء المعابد مثل اهتمامهم ببناء المقابر وعند عصر الدوله القديمة تميزت المعابد المصرية بدقة هندستها وتفاصيل اجزاءها المستوحاة من الفكر الديني المعقد كما تميزت باستخدام الاعمدة الحجرية الضخمة في حجومها وارتفاعاتها وزغرفة تيجانها . فقد بلغ عدد انواع الاعمدة المستخدمة في معابد الدولة الحديثة (١٢نوعا) حتى صارت من مميزات العمارة في مصر القديمة

والمعابد على نوعين

١- المعابد الالهيه : وهي المعابد المخصصه لعبادة الالهه وقد تطورت تطور كبير عبر مراحل وعصور الحضارة الفرعونية حتى بلغ ذروة تطورها في عهد الدوله الحديثة واستقرت اجزاءها على النحو الاتي :

أ- صرح امامي ضخم تتقدمه مسلتان ضخمتان مزينتان بالكتابات الهيدروغليفيه المستوحاة من العقائد والطقوس الدينية.

ب- فناء مكشوف يلي الصرح وهو مخصص للزائرين.

جـ- قاعة الاعمدة ، قاعة تشتمل على صفوف من الاعمدة ذات دلالات عقائدية .

د- وفي نهاية البناء غرفة ذات جدران سميكة خاصة بالاله تسمى (الهيكل) او (قدس الاقداس) لا يدخلها سوى الفرعون والكهنه ، ويوضع فيها تمثال الاله ومن المعابد الالهيه المشهوره معبد (الاقصر) في مدينة طيبة في الجنوب والذي يرجع بنائه الى الملك(امنحوتب الثالث) واكمل بناءه الحالي الملك(رمسيس الثاني) وزين جدرانه الملك(توت عنخ امون)

٢- المعابد الجنائزيه : وهي معابد ملحقة ببناء اهرامات ومقابر ملوك المصريين. وهذا المعبد مخصص لاقامة المراسيم والشعائر الجنائزية للملك المتوفي. وتبنى عادة قرب او ملاصقة للمقبرة. وهي كثيرة وموجودة طوال عصور الحضارة الفرعونية. ولعل معبد الملكة (حتشبسوت) المقام في مدينة (طيبة) في الجنوب يمثل رائعة معمارية منفردة في الهندسه والدقة والجمال، حيث امتاز بمدرجاته واعمدته ومنحوتاته وزخرفة جدرانه.

ب- <u>فن النحت</u>

تكاملت قواعد الفن منذ عصر الدولة القديمة. وللتمثال وضيفة عقائدية بالدرجة الاولى فهو يحل محل الجثة في استقبال روح المتوفي بعد الموت اذا ما بليت الجثة او اندثرت فهو الضمانه الحقيقية للخلود بعد الموت. لذلك لا تكاد تخلو اي مقبره من مقابر المصريين من تمثال او اكثر ، حتى وجد في احد المقابر خمسين تمثالا لذات الشخص معتقدا ان في ذلك ضمانه اكيده للخلود في العالم الاخر.

واتبع المصريون اسلوبا مميزا في بناء التمثال منها:-

١- استخدام اقسى انواع الحجر صلابه في عمل التماثيل تماشيا وايمانهم بالخلود.

٢- تجسيد اقصى حالات الشبه بين المتوفي وتمثاله كي تتعرف عليه الروح بسهوله.

٣- ضخامة التمثال والدقه في اخراج التفاصيل التشريحية.

ومن النماذج المهمة لتماثيل مصر القديمة :-

- في عصر الدوله القديمة تمثال (الملك زوسر) وتمثال الملك (خفرع) وتمثال (ابو الهول) العظيم وتمثال الملك (منكاورع) وتمثال (الكاتب)، وتمثال (كاعبر)(شيخ البلد)- لاحظ مصورات هذه التماثيل.
- وفي عصر الدولة الوسطى تمثال الملك (منتوحتب الثاني)وتمثال(حاملة القرابين)

- وفي عصر الدولة الحديثة تمثال الملك (امنحوتب الثالث)وتمثال الملكة (حتشبسوت) وتمثال الملك (اخناتون)، وتمثال الملك (رمسيس الثاني) والملك (توت عنخ امون)

- لاحظ مصورات هذه التماثيل.

جـ- فن النقش والتصوير

بدأ فن النقش منذ عصر التأسيس، وتعد (صلاية الملك نعرمر) انموذجا لهذا الفن في هذا العصر، ازدهر فن النقش في عصر الدولة القديمة وبلغ ذروة مجده. سواء في اسلوب تنفيذه على الجدران او في سعة موضوعاته التي شملت مجمل الفعاليات الحياتية والجنائزية. بعد الاعتقاد بأن المناظر والمشاهد المرسومة على جدران المقبرة ستتحول الى حقائقها الحية في العالم الاخر وستؤمن للمتوفي ما يحتاج الية او يأنس له في العالم الاخر، فأزدحمت جدران المقابر بالنقوش المختلفة في موضوعاتها.

ومثال على هذه النقوش :

- في عصر التاسيس – نقوش صلاية الملك نعرمر.
- في عصور الدولة القديمة – نقوش مقبرة النبيل (تي) في سقارة.
- في عصر الدوله الوسطى – نقوش تابوت الملكة (كاوية).
- في عصر الدولة الحديثة – نقوش الملكة (حتشبسوت) والملك (اخناتون).

لاحظ مصورات هذه النقوش.